الاصلاحية الاسلامية والهويـــات الجماعيـــة

م.د. شـروق ايـاد خضـير
تدريسية في قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الاسلامية،
جامعة الفلوجة

uofallujah.edu.iq

الباحث

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

الملخص

تحاول هذه الدراسة ان تتقصى الموقف الفكري للمصلحين الاسلاميين في العصر الحديث من صيغ الهويات الجماعية، وفي مقدمتها الهوية الاسلامية، فضلا عن الهوية القومية، والهوية الوطنية وموضوعة الدولة الوطنية الحديثة التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقاً. وعليه، تمحورت هذه الدراسة حول اشكالية مركزية تلخصت بالسؤال الاتي: هل حال التمركز حول الهوية الاسلامية ، دون تقبل المثقف الاصلاحي الاسلامي لصيغ ومفاهيم هوياتية جماعية حداثية من قبيل هوية عربية وهوية وطنية؟ وانطلقت الدراسة من فرضية أساسية مؤداها: ان التشبث بالهوية الاسلامية من لدن الاصلاحية الاسلامية الحديثة لم يحل دون دفاعها عن صيغ الهويات الجماعية الحداثية. وتوسلت الدراسة بالمنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون. وتوصلت الى ان التأويل البنائي لمفهوم الهوية في وعي المصلحين الاسلاميين كان قد حكم الى حدما موقفهم الفكري من صيغ الهويات الجماعية الحديثة والذي غلبت عليه سمة التوفيق والتركيب والتوليف بين عناصر الهوية الاسلامية المرجعية، وعناصر صيغ هويات جماعية وصفت بالحداثية قياساً بتاريخ ظهورها .

الكلمات المفتاحية: الاصلاحية الاسلامية الحديثة، الهوية الاسلامية، الهوية العربية، الهوية الوطنية.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

Abstract

This study attempts to investigate the intellectual position of the Islamic reformers in the modern era regarding the forms of collective identities، namely: the Islamic identity، as well as the position on the Arab identity، the national identity and the theme of the modern national state with which it is closely related. Accordingly، this study focused on a central problem that was summarized by the following question: Is the focus on the Islamic identity

preventing the Islamic reformist intellectual from accepting the formulas and concepts of modern collective identities? The study proceeded from a basic hypothesis that: clinging to the Islamic identity from the modern Islamic reformism did not prevent it from defending the forms of modern collective identities. The study invoked the historical method and the content analysis method. It concluded that the structural interpretation of the concept of identity in the awareness of Islamic reformers had to some extent governed their intellectual position on the modern collective identities formulas، which was dominated by the feature of reconciliation، installation and synthesis between the elements of the reference Islamic identity and the elements of collective identities formulas described as modernist in comparison with the date of it emergence.

Keywords: modern Islamic reform، Islamic identity، Arab identity، national identity.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المقدمة

مع التحدي الغربي في العصر الحديث، اخذ وعي المسلمين بنوع وحجم التحديات التي يواجهها عالمهم يتغير. وأياً كانت النظرة الاسلامية حينها الى الغرب، سواء تلك التي انبهرت ودافعت عن انموذجه الحضاري: الشطر الليبرالي من الاصلاحية الاسلامية الحديثة، أم تلك التي هاجمته: الشطر الاسلامي المحافظ من الاصلاحية الاسلامية الحديثة، فأنها تمحورت حول مسألة واحدة، ليست تلك المسألة سوى قضية انحطاط المسلمين وتأخرهم قياسا بالاخر الغربي، أي وعي واقع الاختلال بين مدنية اسلامية، واخرى غربية ورفض هذا الواقع لان ثمنه سيكون مركزية الاسلام ومدنيته وهوية الجماعة المنتسبة اليه.

لقد انبهر المثقف الليبرالي الاسلامي الاصلاحي الذي يُعدّ(الطهطاوي) انموذجه الابرز بالعالم الغربي الذي احتك به مباشرة من خلال البعثات العلمية لترتسم في ذهنه صورة مركبة للاخر: مستعمر في بلاد المسلمين لكنه حضارة وتقدم وعلم وتطور في بلده، وليبدأ بعد ذلك نوع من انواع الحوار اضطر فيه المثقف المسلم الى ان يصغي اولا الى خطاب الاخر قبل ان يهيأ رداً مناسباً من مدونته الاسلامية. اما المثقف الاسلامي الاصلاحي المحافظ الذي يعد (الافغاني) و(عبده) انموذجيه الابرزين ، فقد اراد ابتداءً مقاطعة الاخر الغربي مقاطعة كلية فجاءت جزئية، تحولّ معها رفضه للاخر الى مشروع فكري مسكون بهاجس البحث عن سبل استعادة مركزية الهوية الاسلامية، حتى لو كان ذلك بالاستفادة من عناصر القوة لدى الاخر الغربي، لاسيما تلك العناصر التي كانت في وعي الاصلاحية الاسلامية من اصول اسلامية وقد اخذتها اوروبا لاحقا، وان الاوان قد حان لعودتها الى سياقها الاصلي، وفق ما أُطلق عليه في الفكر الاسلامي بـ(التنظيم

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

الاعتذاري او الحجاجي او التبريري). اوبالاستئناس بقيم ومفاهيم عصرية لاسيما تلك المتعلقة بقضايا الهوية والانتماء(موضوع الدراسة) كهوية اسلامية وهويةعربية وهوية وطنية، والتي ارتأت انها لا تتعارض كلياً مع الثوابت المرجعية المؤسسة للهوية الاسلامية.

وعليه فان الانفتاح في الفكر الاصلاحي الاسلامي الحديث كان قد طال نطاق الجهاز المفهومي المرجعي الاسلامي، لتتلبس مفاهيم ومصطلحات من قبيل: شورى، وطن، امة، دستور...الخ بلبوس عصري غربي عبرّت عنه أولاً: نصوص الشطر الليبرالي من الاصلاحية الاسلامية، وثانياً: النتاجات الفكرية للشطر الاسلامي المحافظ من الاصلاحية الاسلامية.

غير ان هذا الانفتاح كانت قد غلبت عليه سمة التوفيق لا الذوبان او الانصهار، التوفيق بين عناصر الهوية الاسلامية والتقدم، بين الاصالة والمعاصرة، الدين والعلم، الاسلام والغرب. توفيقية لا جدلية على نحو تنصهر فيه عناصر الاضداد انصهارا تحويلياً على حد تعبير المفكر العربي(عبد الاله بلقزيز) بل تركيبية تصالحية تعايشت ضمن حدودها الاطراف المتضادة، الامر الذي أتاح للفكر الاسلامي فرصة التطور والاغتناء لمدة من الزمن، من غير ان يلجم حركته التناقض الابستيمي بين المرجعيات المختلفة التي نهل منها.

اشكالية الدراسة: تسعى الدراسة الى الاجابة عن سؤال مركزي مفاده: ما الموقف الفكري للمصلحين الاسلاميين في العصر الحديث من مفاهيم الهويات الجماعية؟ وهل حال جرح هويتهم الاسلامية بعد انهيار الدولة العثمانية وانكشافهم أمام الاخر الغربي وخوفهم من سحب الاخير بساط المركزية الاسلامية من تحت أقدامهم دون تبنيهم لصيغ هويات جماعية من مرجعيات الاخر؟

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

فرضية الدراسة: تقوم الدراسة على فرضية أساسية، مؤداها: (ان الاصلاحية الاسلامية الحديثة وان ارتكزت في الاساس على ثوابت هويتها الاسلامية، غير ان ذلك لم يحل بينها وبين تقبل صيغ هويات جماعية، وان كانت من مرجعية مغايرة لمرجعيتها الاصلية).

منهج الدراسة: بغية التحقق من صحة الفرضية أعلاه، توسلت الدراسة بالمنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون أينما اقتضت الحاجة.

هيكلية الدراسة: ضمت الدراسة فضلا عن المقدمة والخاتمة، ثلاثة محاور اختص الاول منها بمحاولة الكشف عن موقف المصلحين من الهوية الاسلامية باحتسابها مرتكزهم الاساس، وسعى المحور الثاني الى التحقق من موقف المصلحين من صيغة الهوية القوميةالعربية، في حين ركز المحور الثالث على الاستجابة الفكرية للمصلحين لصيغة الهوية الوطنية، وما اتصل بها من مسائل ولا سيما قضية الدولة الوطنية .

المحور الاول: الاصلاحية الاسلامية وفكرة «الجامعة الاسلامية»:

تبلورت فكرة «الجامعة الاسلامية» اول ما تبلورت بفضل عدد من المفكرين المصلحين وفي مقدمتهم (جمال الدين الافغاني**١٨٣٩-١٨٩٧**م)الذي عده احد المستشرقين الاب الروحي لمذهب توحيد الشعوب الاسلامية[١]، فقد وجّه (الافغاني) الدعوة اولاً الى الافغان والفرس للاتحاد فيما بينهما ونبذ الخلافات المذهبية كخطوة نحو التحالف والتضامن مع بقية شعوب الاسلام، ثم دعا جميع شعوب الشرق الى التضامن لمواجهة التوسع الاوربي[٢].

(١) ف.د. فرنو، يقظة العالم الاسلامي، تعريب: بهيج شعبان (بيروت: دار الحكمة، د.ت)، ص **١٢١**.

(٢) نقلاً عن: محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ محمد عبده، ط١(القاهرة: مطبعة المنار، **١٩٣١**)،

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ويبدو ان سبب الدعوة الى فكرة «جامعة اسلامية» بدل جامعة قومية او جامعة وطنية على سبيل المثال ، هو طبيعة التحدي الذي كانت تواجهه شعوب الاسلام، المتمثل بالتحدي الغربي حينها، فعندما يكون التحدي خارجياً (آخراً من غير عالم الاسلام)، تأتي ردة الفعل في اطار المرجعية الاسلامية، وحين يكون داخلياً، فأنه غالباً ما تأتي الاستجابة في اطار الهوية القومية، وفق تعبير احد الباحثين[١].

وهنالك من اتخذ هذه الدعوة برهاناً على مناوئة (الافغاني) للقومية كهوية جامعة، اذ عبّر عن ذلك (هشام شرابي) بقوله: «ظل الموقف الاصلاحي من الايديولوجيا القومية الناشئة معادياً في شكل جذري حتى النهاية، ومصراً على القول بأن الرابطة الدينية وليست الرابطة القومية هي التي ستكون اساساً للوحدة»[٢]. غير ان (وميض نظمي) اعتقد ان من الموضوعية القول بأن قناعة (الافغاني) بالجامعة الاسلامية، لم يحل دون تسليمه بالتعدد القومي واللغوي، تلك الحقيقة التي يمكن الاستدلال عليها من خلال كثير من الصياغات المنسوبة اليه والتي تعترف بجميع الروابط القومية، والروابط المذهبية [٣]. في حين رأى (عبد الغني عماد) ان صيغة «الجامعة الاسلامية» كانت تمثل

ص ٣٠٧، ص٢٨٨.

(١) ينظر: عبد العزيز الدوري، «الامة العربية: التكوين والهوية ،» مجلة شؤون عربية، العدد ٤٣، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، ايلول ١٩٨٥، ص ١٦.

(٢) ينظر: هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٨٧٥- ١٩١٤(بيروت: دار النهار، ١٩٧١)، ص ٥٩.

(٣) ينظر: وميض جمال عمر نظمي، «ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٢، السنة ٦، مركز دراسات الوحدة العبية، بيروت، حزيران، ١٩٨٣، ص ٦٩، واكد تلك الحقيقة كذلك: ثابت المدلجي، الرجل الاعصار: جمال الدين الافغاني(بيروت: دار المعجم العربي،١٩٥٨)، ص ص ١٠٤-١٠٥.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

مخرجاً واقعياً لحالة الضعف العثماني، وانقاذاً للدولة العثمانية بكل ما تحمله من حمولة قومية متنوعة، كما انها جاءت في سياق المألوف الذي ينسجم مع الذهنية الثقافية في عالم الاسلام حينها [١].

وعلى اية حال وأياً كانت الاسباب الكامنة خلف الدعوة الى صيغة الجامعة الاسلامية، لم يكن هناك على ما يبدو خلاف بين المسلمين، وفي طليعتهم رواد الفكر السياسي الاسلامي في العصر الحديث حول تأييد فكرة «الجامعة الاسلامية» كصيغة لهوية اسلامية جامعة بصرف النظر عن من عدها تعبيراً واقعياً عن وحدة سياسية في اطار دولة واحدة، او من احتسبها مجرد نوع من الشعور بالتشارك و التضامن بين من يدينون بالإسلام في محاولة للحفاظ على الهوية الاسلامية ممن يسعى الى النيل منها ، بيد ان الاختلاف بين هؤلاء كان قد دار حول مسألة ارتباط الجامعة الاسلامية بالخلافة العثمانية، او بالعنصر التركي تحديداً، من عدمه [٢]. بل احياناً كان التقلب والتناقض بين موقف وآخر لدى المثقف الاسلامي الواحد، فـ (جمال الدين الافغاني)، علق آماله في البداية في تشكيل الجامعة الاسلامية على السلطان العثماني(عبد الحميد الثاني)الذي كان هو الآخر مدركاً ابتداء حاجته لـ (الافغاني) لتحقيق ذات الهدف، لكن (الافغاني) سرعان ما تراجع عن ذلك فيما بعد، من دون ان يتملص من موقف مناصرة وتأييد عدم تفكك الدولة العثمانية والحيلولة دون انهيارها [٣].

(١) ينظر: عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء، ط١(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٧)، ص ص ٢٦٠- ٢٦١.

(٢) توفيق الطويل، الفكر الديني الاسلامي في العالم العربي ابان المائة عام الاخيرة (بيروت: مطابع الدار الشرقية، ١٩٦٧ م)، ص ٢٨٩ .

(٣) جمال الدين الافغاني، الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط٢(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ج١، ص ص٧٩-٨٠.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

وأيد (عبد الرحمن الكواكبي ١٨٤٨-١٩٠٢م) فكرة الجامعة الاسلامية، مع بغضه للعنصر التركي داعياً الى خلافة عربية [١]. اما (محمد رشيد رضا١٨٦٥-١٩٢٥م)، فقد ظل موالياً للدولة العثمانية طيلة الشطر الاول من حياته متصدياً للمحاولات الداعية لاستقلال العرب. غير ان، بعد سيطرة الاتحاديين على السلطة عام ١٩٠٨م، وعزلهم السلطان (عبد الحميد الثاني)، وانتهاجهم سياسة عنصرية مغلفة بالطائفية دعت الى تفوق العنصر التركي، بدأ الكثير من المتحمسين لفكرة الجامعة الاسلامية يتجهون اتجاهاً عروبياً صريحاً مع تمسكهم بالرابطة الاسلامية، ومنهم (محمد رشيد رضا) الذي شرع باستخدام مصطلح «الامة» - الذي كان في الاصل وفي حدود الفكر الاسلامي يشير الى: الجماعة السوسيولوجية ذات الهوية الاسلامية اي جماعة اسلامية عالمية او اممية او فوق وطنية بلغة عصرنا متجاوزة الحدود والقوميات - بدلالة قومية: امة عربية، اي دلالة حديثة، و رأى ان الاتحاديين، كانوا قد احبطوا «الامة العربية» و أيأسوها من الدولة العثمانية و اضطروها لإعلان ثورة الحجاز عام ١٩١٦م [٢].

وقد بدا (شكيب ارسلان١٨٦٩-١٩٤٦م)، متحمساً هو الآخر لفكرة الجامعة الاسلامية، لكنه اصدر مجلة «الامة العربية» في المدة بين الحربين العالمتين الاولى و الثانية، مؤيداً فيها مساعي العرب الى التحرر و الاستقلال [٣]. ويبدو ان مؤيدي فكرة الجامعة الاسلامية من أمثال: (محمد رشيد رضا وشكيب ارسلان والكواكبي)، لم يكونوا قد

(١) عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي (بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٦٩)، ص ١٢٦.
(٢) غسان سلامة، «الجامعة والتكتلات العربية،» ورقة قدمت الى ندوة الجامعة العربية: الواقع و الطموح (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢)، ص ٧٧٥ .
(٣) احمد الشرباصي، «تصدير،» في: شكيب ارسلان، تاريخ غزوات العرب (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣)، ص ١٢ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

تخلوا حينها تماماً عن الدولة العثمانية: التي كانت لهم بمثابة الرمز والتجسيد الواقعي للهوية الاسلامية، بل ان القيادات القومية التركية التي خرجت من قلب المؤسسة العثمانية، هي التي بادرت في الابتعاد شيئاً فشيئاً عن كل ما له علاقة بالعرب بما في ذلك الاسلام: هويتهم المرجعية، والاقتراب تدريجياً من الحضارة الغربية، وكان من بين أبرز ما ترتب على ذلك، الارتباك الذي اصاب المصلحين الاسلاميين- تحديداً (محمد رشيد رضا) - والذي يمكن قراءته هنا في مسألتين: مسالة الانتماء القومي، ومسالة العلاقة الدينية بالعثمانيين عبر الخلافة. وقد بلغ هذا الارتباك حده الاعلى، مع اعلان انتهاء الخلافة العثمانية عام **١٩٢٢** م، الذي كان(محمد رشيد رضا) شاهداً عليه[١]، والمتأثر الابرز به كما سيتم كشفه في مكان لاحق. حيث سيبدأ تيار الجامعة الاسلامية بالانحسار ابتداءً من العقد الثاني من القرن العشرين مقابل صعود الاتجاه الوطني كتعبير عن هوية وطنية، والاتجاه القومي المعبر عن الهوية القومية، ورغم تشديد هذا التيار بصورة عامة على صيغة الجامعة الاسلامية، الا انه أسهم في ذات الوقت في اذكاء المشاعر القومية العربية التي صبّت في مجرى الخطاب القومي العربي وهو ما سيتم التحقق من صحته في المحور العلمي التالي.

المحور الثاني: الاصلاحية الاسلامية الحديثة وفكرة «القومية العربية»:

لعل من المفيد التذكير بان الفكرة العروبية وشعور العرب بالتميز، لم يكن طارئاً، بل تعود جذوره الى ما قبل ظهور الاسلام، وان كان حينها شعوراً فطرياً جنينياً فحسب. اما الحركة القومية العربية الحديثة، فإنها ارتبطت الى جانب عوامل تأثرها بالغرب وتداعيات ما يُعرف بـ «المسالة الشرقية»، ارتباطاً وثيقاً بتاريخ العلاقات العربية -

(١) عبد الغني عماد، مصدر سابق، ص ٢٦٠ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

التركية منذ ما يقارب النصف الثاني من القرن التاسع عشر القائم على اساس تفوق وسيادة العنصر التركي على العنصر العربي[١]، و كانت بلاد اشام على وجه الخصوص، قد خضعت للسيطرة المركزية المباشرة للدولة العثمانية وواجهت حركة التتريك، ولم تعد سوى الارساليات التبشيرية المسيحية مأوىً للغة العربية، ما اتاح الفرصة امام مثقفين مسيحين، من أمثال (بطرس البستاني١٨١٩-١٨٨٣م) و(ناصيف اليازجي١٨٠٠-١٨٧١م) لأحياء الدراسات العربية والتاريخ العربي وابراز الفكرة القومية العربية[٢]. وتأسست الى جانب ذلك، عدد من الجمعيات والتنظيمات، التي رغم اختلاف اهدافها ومسارها، فإنها كانت قد اسهمت بشكل مباشر او غير مباشر في تنمية المشاعر القومية.

ويبدو انه ورغم تمسك المصلحين الاسلاميين ذوي النزعة التوفيقية وتشديدهم على الرابطة الدينية، فانهم كانوا قد عبّروا عن اولى ارهاصات المطالبة بالهوية القومية العربية، وكان لهم دور في تطوير واذكاء فكرة القومية العربية. فمن خلال انفتاح المنظومة المفاهيمية لهؤلاء على الفكر الغربي، وتمجيدهم للدور العربي والطاقات العربية في حماية الاسلام والحفاظ عليه، وانتقاصهم بالمقابل من قدرة الاتراك، كانوا قد هيأوا الذهن العربي لتقبّل افكار جديدة، لم تكن القومية العربية اقلّها شأناً[٣]. كذلك مارس هؤلاء

(١) السيد يسين، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤)، ص ٣٥ .

(٢) ذوقان قرقوط ، الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥-١٩٣٦ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ١٩٧٢) ،ص٢٥٢.

(٣) محمد عمارة، « الجامعة العربية و الجامعة الاسلامية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٤، السنة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط ١٩٨١، ص ص ٧٤-٧٥ ، اديب نصور، «مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام،» في : الفكر العربي في مائة عام، بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد في تشرين الثاني ١٩٦٦م في الجامعة الامريكية (بيروت: الجامعة

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

تأثيراً بالغاً على الانتلجنسيا(النخب المثقفة) في العالم العربي: في العراق على سبيل المثال، حيث اسهموا في شطر الانتلجنسيا العراقية الى فريقين: فريق ضم ادباء ك (جميل صدقي الزهاوي١٨٦٣-١٩٣٦م)، و(معروف عبد الغني الرصافي ١٨٧٥-١٩٤٥م)، و(عبد المحسن الكاظمي١٨٦٥-١٩٣٥م)، و(محمد سعيد الحبوبي١٨٤٩-١٩١٥م)، و(محمد رضا الشبيبي١٨٨٩-١٩٦٥م) وغيرهم، وهؤلاء فيما يبدو كانوا قد امتصّوا الافكار الصادرة عن مجلة «العروة الوثقى» - الدورية الاسبوعية التي انشأها (الافغاني وعبده)- مجسدين مدرسة فكرية مستقلة لذاتها، واجهت تحدياً من فريق الانتلجنسيا العراقي الثاني الذي مثّله كتاب آخرون، و قسم من رموز المؤسسة الدينية المحافظة [١] .

وعليه، يمكن التوصل الى ان القومية العربية كصيغة لهوية جامعة لم تكن ثمرة الاسهام الفكري المسيحي فحسب- والذي لا يمكن انكاره او الانتقاص من دوره- وانما نشأت كذلك في رحم اسلام المصلحين، بل ربما كانت فكرة هؤلاء القومية اكثر تأثيراً من فكرة القومية الخالصة التي بشّر بها الرواد المسيحيون العرب على حد تعبير (وميض نظمي)[٢].

ودون الدخول في التفاصيل، استخدم (رفاعة رافع الطهطاوي١٨٠١-١٨٧٣م) مصطلح «ملة» بمفهوم قومي مشيراً الى القوميات من غير العرب، فعلى سبيل المثال استخدم تعبير»ملة فرنساوية»، ولم يستخدم كلمة «امة» بمعنى قومي مع معرفته بمصطلح «امة فرنسية»، واقتصر استخدامه لها على المفهوم الاسلامي التقليدي، رغم

الامريكية، ١٩٦٧)، ص ١٠٨ .

(١) وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص ٧٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧١ . والى ذات الفكرة أشار (البرت حوراني). ينظر: البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩م، ترجمة: كريم عزقول (بيروت: دار النهار، د.ت)، ص ١٣٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

انه اشاد بالعرب ومدح فضائلهم وفصاحة لسانهم[١]، ذلك لأنه كان جزءاً من الجو الفكري العام الذي اقتصر على الاستخدام التقليدي لهذه المفردة، كما انه كان يخلط عامداً بين المفهوم الديني والمفهوم القومي أو بين مرجعيته ومرجعية الاخر، في حين ان (الكواكبي) كان قد استخدم تعبير «امة عربية» كما في قوله: «عاشت الامة العربية» و«عاش الوطن»، ودعا الى استعادة السلطة من الاتراك الى العرب، وخاطب العرب غير المسلمين، داعياً اياهم الى وحدة قومية ليست بدينية، والى ولاء قومي، اكثر منه ديني، غير انه مع ذلك، لم يكن قومياً خالصاً، ذلك لان تصوره الاساس كان قائماً على أساس قيام دولة اسلامية، وان تمجيده للعرب، كان على الارجح من باب انهم اكثر اهلية من الاتراك للحفاظ على الاسلام والدفاع عنه واقامة دولته[٢]، اذ أحب العرب وعدّهم قادة الجامعة الاسلامية التي كانت في تصوره ستتشكل على ايديهم، واشترط ان يكون الخليفة عربياً قرشياً، ولاحظ ان هناك ترابطاً دينياً عربياً بين الشعوب العربية الاسلامية، فكان مع الجامعة الاسلامية والقومية العربية في آن واحد، ساعياً الى تعزيز الانتماءين القومي والديني من خلال وحدة سياسية عربية وجامعة اسلامية يتولاها العرب، فكانت عروبته متكاملة ومنسجمة مع اسلامه لا تنافر ولا خصام . كما رأى ان سبب محنة العرب هي فقدانهم للرابطة الدينية فضلاً عن الرابطة القومية: «ان السبب الاعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية ...، وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية»[٣]، غير

(١) نقلاً عن: قيس ماضي فرو، ثقافة (النهضة العربية) وخطابات الهويات الجماعية في مصر وبلاد الشام، ط١، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٧)، ص ١٩٠ .

(٢) نقلاً عن: وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص٨٦.

(٣) عبد الرحمن الكواكبي، ام القرى: مؤتمر النهضة الاسلامية الاول، دراسة وتحقيق: محمد جمال طحان، ط٦(د.م: د.ن،٢٠١٤)، ص ٥٨ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

ان منطلقه ومنهجه الاساس ظل اسلامياً بالدرجة الاساس حتى وفاته[١].

ونُسبت لـ (الأفغاني) مقالة مجهولة التاريخ كان قد مجّد فيها الروح القومية، قائلاً: «لا سعادة الا بالجنسية، ولا جنسية الا باللغة، ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج اليه طبقات ارباب الصناعات و الخطط في الافادة والاستفادة ... ان الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان: وحدة اللغة، ووحدة الدين، ووحدة اللغة هي الاساس الذي تقوم عليه الجنسية، واللغة اشد ثباتاً واكثر دواماً من الدين، لأننا نعرف امم غيرت دينها خلال الف عام مرتين، بل وثلاث مرات دون ان يطرأ خلل على وحدتها اللغوية والقومية»[٢].

وكان (محمد عبده) قد عزا جمود وانحلال الاسلام الى تسرّب عناصر غير عربية الى الادارة، غير انه في وقت لاحق، حذّر من انفصال العرب عن الاتراك، لما قد يؤول اليه هذا العمل من فتح المجال امام اوروبا لإخضاع العرب والاتراك معاً الى هيمنتها، وهذا ما دفعه الى الدعوة للحفاظ على الدولة العثمانية بِعدِّها رمز الخلافة الاسلامية المتبقي، ولأنها «سياج في الجملة» على حد قوله[٣]، وعندما سُئل حين اصبح مفتي مصر عن حكم «الجنسية»، أجاب: «أما الجنسية فليست معروفة عند المسلمين، وليس لها احكام تجري عليهم...وانما الجنسية عند الامم الاوربية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية، وهي ارتباط اهل قبيلة واحدة او عدة قبائل بنسب او حلف يكون من حق ذلك الارتباط ان ينصر كل منتسب اليه ممن يشاركه فيه...جاء الاسلام فألغى تلك العصبية...فالجنسية لا

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٩-٣٠.
(٢) نقلاً عن: وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص ٧٥ .
(٣) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ط٢(القاهرة: مكتبة الآداب، ١٣٨٢هـ)، ج١، ص ٤٨، وكذلك: وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص ص ٨٢ - ٨٣.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

اثر لها عند المسلمين قاطبة»[١].

ان هذا الموقف المتردّد الذي اتخذه (عبده) كان قد تسبب في مأزق فكري شاء ان تخوضه الاجيال اللاحقة عليه، وكان (محمد رشيد رضا) كما سلفت الاشارة مثالاً على هذه الحيرة والارتباك، ففي عام **١٨٩٧**م اعلن عن رفضه للمبدأ القومي «الاوروبي»، وفي عام **١٩٠٠**م حذر من تجزؤ المسلمين الى اجناس وامم، غير انه في نفس العام، مجّد الشخصية العربية والثقافة العربية واساليب الحكم العربية، والفتوحات العسكرية العربية، وانتقد معاملة الاتراك للعرب، ولكن ادان القوميين جميعاً: عرباً وتركاً بحجة تهديدهم لد (الوحدة الاسلامية) [٢].

وبمرور الزمن، وحين اصبحت السلطة العثمانية اكثر تركية واقل اسلامية واكثر عجزاً واقل قوة، صار (محمد رشيد رضا) اكثر هجومية اتجاه الاتراك واجلى روح عروبية، فمنذ تولي الاتحاديين السلطة عام **١٩٠٨**م، وهو يعرب عن مخاوفه ازاء الميول القومية التركية لـ«تركيا الفتاة»، وقد بلغ المأزق الفكري لهذا المفكر ذروته بنشوب الحرب العالمية الاولى: فمن جانب، قَبِل المساعدة البريطانية للعرب على امل تشكيل حكومة عربية، ومن جانب اخر نصح (الشريف حسين) بإنهاء تحالفه مع بريطانيا، والكف عن الاشتراك معها، في فعاليات مناوئة للعثمانيين، وفي عام الغاء الخلافة، وبعد وفاة (عبده) التزم (رضا) الموقف المؤيد والمتمسك ببقائها، بخلاف تلامذة اخرين لـ (محمد عبده)، كـ (علي عبد الرازق)، الذي ايد الغائها بدعوى مخالفتها لجوهر الشريعة [٣].

(١) محمد عبده، الاعمال الكاملة، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، ط١(بيروت: دار الشروق، **١٩٩٣**)، ج**٢**، ص ص**٥٠٦-٥٠٧**.

(٢) محمد محمد حسين، مصدر سابق، ص **٨٣**.

(٣) وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص**٨٤-٨٥**.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

يتضح مما سبق، ان مفكري هذا الاتجاه الاسلامي قد اسهموا في تحريك الاختلاجات الاولى للوعي القومي العربي، ومع ان افكارهم كانت تنطوي على نزعة قومية، بيد انها لم ترق الى مستوى الايمان الخالص بقيام دولة قومية على نحو ما دعا اليه الخطاب القومي العربي، بدل دولة اسلامية، لان منهجهم الاساس ظل اسلامياً بالدرجة الاولى.

المحور الثالث: الاصلاحية الاسلامية الحديثة والهوية الوطنية:

لم يجرِ في الغالب، استخدام الفاظ من قبيل وطنية، او مواطن ...الخ، على رغم من استخدام مصدرها «وطن» بمعنى محل ولادة او مكان سكن الانسان منذ وقت مبكر، ويبدو ان هذه المفاهيم تعود على الارجح الى زمن ما يطلق عليه بـ «النهضة العربية»[1]*، ويبدو كذلك، ان الدعوة الوطنية كانت قد سبقت البوادر القومية لمثقفي الاصلاحية الاسلامية التوفيقية الحديثة.

لقد بشر (الطهطاوي) بصعود «وطنية» تستند الى امجاد مصر القديمة، واشاد بحب الوطن وتعلق الانسان به وولائه له، بيد ان مفهومه للرابطة الوطنية بقي على ما يبدو مجرد ارهاصات تدعو الى هوية جماعية غير واضحة المعالم[2]، فمرة ارتبط هذا المفهوم لديه بالأخوة الانسانية والاخوة الاسلامية: اذ عنى بها «عباد الله اخواناً متعاهدين على اقامة دينه واظهار شعائره وانتظام ملكه (وهذه الاخوة هي) اخوة العبودية التي هي

(١)* يقول (محمد عمارة) في ذلك: «قبل عصر الطهطاوي وقبل قيام نظام الحكم المدني الذي شهدته مصر منذ سنة ١٨٠٥م ... لم يعرف الشرق العربي رابطة يتحدث عنها الناس، وجامعة بين اهله سوى رابطة «الملة» التي كانت تعني يومئذ رابطة الدين والعقيدة الروحية، ولم تكن الرابطة «الوطنية» او «القومية» –الجنسية – قد برزت بعد، بل ان اللغة المتداولة لم تكن تستخدم هذه المصطلحات « . ينظر: محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ط٣، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧)، ص١٨٩.

(٢) قيس ماضي فرو، مصدر سابق، ص١٩٠.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

التساوي في الانسانية عامة، في حقوق اهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد، وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية، وهي اعظم من الاخوة الحقيقية ...فجميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن منها، يجب على اعضاء الوطن في حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الاخوة الوطنية فضلاً عن الاخوة الدينية»[١].

ومرة ارتبطت بالولاء للحاكم، ومرة ارتبطت بحبه لمسقط رأسه مدينة طنطا ...وهكذا دواليك . غير ان هذا لا يحول دون القول بان (الطهطاوي) كان اباً للفكر الوطني العربي الحديث، اذ تشهد له العديد من نصوصه، منها قوله:» ان حب الوطن من الايمان... ومولد الانسان على الدوام محبوب...والكريم لا يجفو ارضا بها قوابله، ولا دارا فيها قبائله»[٢]، ويبدو ان عصبيته لوطنه ووعيه الحاد بمركزية الدولة التي تتحدد بمجال الوطن، لم يقف عند حدود المشاعر الوطنية بل اندفع، وكذلك (خير الدين التونسي) بشدة الى فكرة دولة وطنية: دولة حديثة وفقاً للنموذج الاوروبي، واعتنى الاثنان بهذه المسألة عناية كبيرة ، وانصرفا الى التعريف التفصيلي بها، حيث انها في منظورهما، ينبغي ان تقوم على مقتضى العدل الذي يتجلى في القانون، وان الاخير لابد ان يدون في كتاب ليكون بمثابة مرجع الدولة وقاعدتها في اجراء الاحكام، وهذا القانون هو الدستور[٣]*، الذي عبر عنه (الطهطاوي) بعبارات شتى، من قبيل «الشرطة»، والـ «كونستيتيون»،

(١) رفاعة رافع الطهطاوي، الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٣)،ج١، ص٣١٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٠.

(٣)* تأثرت الرؤية الدستورية للاصلاحية الاسلامية الحديثة بالحركة الدستورية التي نضجت في تركيا العثمانية .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

وتعمد تعريفه في كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» بعد ان ترجم مواد الدستور الفرنسي في هذا المؤلف بأكملها [١] .

وربط (محمد عبده) بين الانتساب الى وطن والشرف الذاتي للفرد، اذ رأى ان الاخير يغار على وطنه ويذود عنه كما يذود عن والده وان كان سيء الخلق او شديداً عليه، كما اوجب هذا المفكر على المصريين حب وطنهم لكونه سكنهم الهانئ وبيتهم الآمن ومقام نسبهم وموضع حقوقهم وواجباتهم[٢].

كما لعب (محمد رشيد رضا) دوراً كبيراً في كفاح سوريا السياسي، من خلال حزب اللامركزية قبل عام **١٩١٤**م، واثناء المفاوضات مع البريطانيين التي جرت خلال الحرب، وخلال ترأسه المؤتمر السوري في عام **١٩٢٠** م[٣]، ويبدو ان تأييده للدستوريين من عرب وترك كان ينطوي هو الآخر على مشاعر وطنية، ذلك ان فكرة الدستور والتنظيمات كانت قد تضمنت التوفيق بين المستقبل المأمول: فكرة المواطنة بمفهومها الغربي المندرج في صيغة او نموذج الدولة – الامة، وما ارتبط بها من مشاعر وطنية وقيام مجتمع مدني وحقوق انسان، وبين الواقع المعاش: حالة الرعوية العثمانية بمفهومها المندرج في نموذج الدولة – العصبية الغالبة، وفي المجتمع المتشكل من عصبيات مختلفة . صحيح ان منطلقه الاساس في تأييد الدستور كان قاعدة الشورى، ولكن بعد ان تحمل الاخيرة هذه معاني الديمقراطية، كذلك ان الشورى هي «شورى الامة» ولكن بعد ان

(١) عبد الاله بلقزيز، الدولة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، ط٤(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، **٢٠١٥**)، ص ص **٢٧-٢٩، ٤٢**، وكذلك: محمود فهمي حجازي، اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، **١٩٧٤**)، ص **٣٦**.

(٢) جهاد تقي الحسني، الفكر السياسي العربي الاسلامي، ط١(بغداد: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر،**١٩٩٣**)، ص**٢٧٩**.

(٣) البرت حوراني، مصدر سابق، ص**٢٧٣**.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

تحمل الامة معنى الدولة- الامة، حيث تشارك الامة السلطان في الحكم وتعمل على تقييده بأحكام الدستور او «الشرطة»[١].

ولعل نقد (الافغاني)الحاد للدولة العثمانية بعد ما احبطت اماله في اصلاح اوضاع السلطنة، وتجريده للحاكم من اي سلطة قدسية سماوية، قد هيأ التربة المناسبة لاستنبات افكار جديدة في سياق الدفاع عن دولة وطنية حديثة، كان ابرز هذه الافكار نقد «الكواكبي» للبطش والاستبداد العثماني الذي كان ربما يستبطن شكلاً فكرياً سياسياً جديداً في الدفاع عن دولة وطنية جديدة تقوم على انقاض الدولة السلطانية البائدة، دولة تقوم على فكرة «الخلافة الدستورية»[٢]، فالخليفة استنادا لرؤية (الكواكبي) يُختزَل الى مجرد رمز: فهو يقيم في مكة من دون ان تكون لديه اية صلاحيات لتعيين اي حاكم، بل انه نفسه ينبغي ان ينتخبه مجلس، كما تجوز تنحيته من خلال التصويت [٣].

ان فكرة الدولة الوطنية التي دافع عنها هذا التيار الاسلامي: مرة صراحة ومرة مواربة، لا تنتمي الى جملة ما يمكن ان يُدافع عنه في الموروث الاسلامي، فصيغة الدولة هذه ليست في جملته ولا في بابه، اذ ان هذه المساهمة الفكرية الجديدة غير جارية على مقتضى مألوف فكري، ولم تكن قد حملت عليها شروط الواقع والحاجة: واقع عصر جديد يفرض حقائقه القهرية على سائر المجتمعات، والحاجة: حاجة التأقلم مع هذا

(١) وجيه كوثراني، «التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصاً وتطبيقاً ومفهوماً،» مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد٣، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، آذار- مارس،٢٠١٣، ص١، ص ص ١٦-١٧.

(٢) عبد الاله بلقزيز، مصدر سابق، ص٥٨.

(٣) عبد الرحمن الكواكبي، الاعمال الكاملة، تحرير: محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥)، ص ص٢٢٩-٣٧٣.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

الواقع دفعاً للضرر واستجلاباً للمصلحة[١].

كانت مصر اسبق من الشام[٢]* في انتشار الحركة الوطنية وذلك بفضل: ١- كيانها السياسي شبه المستقل الذي ساعد في نمو الروح الوطنية لدى (الطهطاوي)، و٢- التوجه الانعزالي لـ (محمد علي باشا١٧٦٩-١٨٤٩م) واسرته، ذلك ان الوطنية او الاقليمية ترتبط ارتباطاً وثيقا بالكيان السياسي المستقل وبالدولة الوطنية الحديثة التي يتعلق بها مفهوم الوطنية الحديث.

ويبدو ان الوعي الوطني في مصر كان قد بدأ بالتبلور منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ولم تستطع حكومة(الخديوي اسماعيل) الوقوف ضده، بسبب انشغالها حينذاك بثقل الرقابة المالية الاجنبية عليها [٣]. وتزايدت المشاعر الوطنية بنهاية القرن التاسع عشر، بسبب فساد الاسرة الخديوية وقوة النفوذ الاجنبي عليها، وبسبب التأثر بأفكار الاتجاه التوفيقي للاصلاحية الاسلامية الحديثة، اذ اندلعت الثورة العرابية الوطنية ذات الطابع الاسلامي عام ١٨٨١م، وتلتها حركة (مصطفى كامل١٨٧٤-١٩٠٨م) في بداية القرن العشرين التي انشطرت بدفع من الانكليز الى جناحين: جناح قاده (مصطفى كامل١٨٧٤-١٩٠٨م) ومن بعده (محمد فريد١٨٦٨-١٩١٩م): وقد دعا الى صيغة هوياتية وطنية مع عدم تنكره للرابطة الاسلامية، حيث هوية وطنية منسجمة مع الهوية الاسلامية، وجناح اخر تمحور حول (لطفي السيد١٨٧٢-١٩٦٣م) وحزب الامة: كان

(١) عبد الاله بلقزيز، مصدر سابق، ص٢٠ .

(٢)* في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اخذت فكرة الوطنية الخالصة في بلاد الشام بالتبلور، فقد بشر (بطرس البستاني ١٨١٩-١٨٨٣م) بفكرة حب الوطن مستلهماً شعار(الطهطاوي) «حب الوطن من الايمان» وداعياً الى قيام وطن سوري على اساس اللغة العربية المشتركة بين ابناء الوطن. لمزيد من الاطلاع، ينظر: محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مصدر سابق، ص١٩٢.

(٣) جهاد تقي الحسني، مصدر سابق، ص٢٧١.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

قد دعا الى هوية مصرية خالصة، دون الاعتراف بالرابطة الاسلامية والرابطة العثمانية، مجسداً بذلك الاتجاه العلماني في الفكر السياسي العربي[1] .

وتجدر الاشارة الى ان هذا الانشطار كان قد جسد بداية انقسام الحركة الوطنية في مصر، بل والفكر العربي الاسلامي برمته، اذ كان الشطران: الوطني الاقليمي: اي اتجاه المعاصرة، والديني: اتجاه الاصالة ، متحدان منذ أيام (الطهطاوي)، مروراً بـ (عرابي) و(مصطفى كامل) و(محمد فريد)، ولم ينفصلا الا بدعوة (لطفي السيد)[2]* الى فصل المصرية الوطنية عن العروبة والجامعة الاسلامية، بمعنى آخر فصل مصر عن عمقها العربي والاسلامي، عادّاً الامة نوعاً من التجمعات الانسانية الطبيعية القائمة على اساس الارتباط بالأرض–الوطن، دون عاملي اللغة والدين، اذ لم يعد الدين بالنسبة له عنصراً

(١) محمد محمد حسين، مصدر سابق، ص١٠.

(٢)* يذكر انه ورغم المنطلق العلماني لهذا التيار الا انه في بدايته استلهم موقف (محمد عبده) من الحاكم البريطاني في الشرق، الذي وصِف حينها بالمهادن لأدراك (عبده) للاختلال في المعادلة التي كان طرفاها قوة بلاده المحلية المغلوبة، وطرفها الاخر دولة (كرومر) القوية وحضارته، غير ان هذا الموقف كان قد تحول على يد هذا التيار الى منهج قبولي شبه مطلق للفكر والسياسة الاوروبيان، وقد لاح هذا التيار في الافق نحو عام ١٩٠٧ م بتأسيس «حزب الامة» وجريدة «الجريدة» التي كان يكتب – فيها كتاب نهلوا من معين الفكر الغربي، وقد وصل هذا التيار ذروة صعوده في عام ١٩٣٠م ، لكن هذه الذروة لم تكن له سوى بداية النهاية ، بسبب انهزامه امام الرأي العام، فلم يكن سوى ومضة خاطفة في التاريخ حينها، فقد عاد الجناحان متفقان بعدما كانا متصارعان متناقضان ، وبُعثت مرة اخرى بعض ملامح التوفيقية التي حملها المصلحون الاسلاميون مجسدة بدرجة ما ولمدة معينة بـ (حسن البنا١٩٠٦–١٩٤٩م)، وانصبّ الرافدان الاسلامي والعلماني المعتدل ضمن مجرى فكره العام عدا بعض عناصر التيار العلماني الذين فضلوا البقاء على مواقفهم المبدئية مع تحول بعضهم نحو شيء من الاعتدال . لمزيد من الاطلاع، ينظر: محمد جابر الانصاري، تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي ١٩٣٠–١٩٧٠، سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٥(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠)، ص ص١٨–٢٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

جوهرياً حاسماً في صياغة الهوية الجماعية[١].

وعلى اية حال، فقد انشغل هذا التيار العلماني بالدفاع عن مبادئ الحرية ضد الاستبداد، والعقل والعلم ضد الدين، والدولة الوطنية ضد السلطة العثمانية متوافقاً- وعى ذلك ام لم يعه – مع عدد من اهداف الاجنبي في تلك الحقبة وفي مقدمتها: تفكيك الهوية الاسلامية والنيل من الذاتية[٢].

خلاصة القول، ان مثقفي الاصلاحية الاسلامية الحديثة، وان كانوا قد انطلقوا من الثوابت الاسلامية وتأسّوا بالجامعة الاسلامية كصيغة لهوية اسلامية جامعة، غير ان ذلك لم يحُل بينهم وبين تقبل صيغ هوياتية جماعية: هوية قومية وهوية وطنية بالمعنى الفضفاض للصيغتين، لم تكن مألوفة على النحو الذي صارت عليه معهم وان كانت تلك الصيغ من مرجعية مغايرة لمرجعيتهم الاسلامية الاساس، وذلك هو ما اتاحه لهم فهمهم البنائي المتحرك التوفيقي للهُويّة.

ورغم هذا القبول، يمكن القول بان هذ الاتجاه لم يتمكن من التوصل الى صيغة ناضجة لهوية جامعة تتجاوز هويته التقليدية، وان انفتحت الاخيرة على مرجعية الاخر، ذلك لأنه كان اسلامياً بالدرجة الاساس، ولان الظروف التاريخية كانت غير مؤهلة للتوصل الى هكذا صيغة.

(١) المصدر نفسه، ص ص ١٩-٢٠.

(٢) عبد الاله بلقزيز،»مقدمات لتحليل الخطاب السياسي العربي: الخطاب النهضوي والاطر المرجعية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٣، السنة ١٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، آيار، ١٩٨٩ ، ص١٤ .

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

الخاتمة والاستنتاجات

في ختام هذه الدراسة يمكن تسجيل الملاحظات الاتية:

١- تقتضي الموضوعية ابتداءً القول بان الاشكالية الرئيسة التي واجهت الاصلاحية الاسلامية الحديثة في الاساس، كانت قضية انحطاط الواقع الاجتماعي والسياسي الاسلامي مقابل التمدن الغربي، ولم يكن انعطافها تالياً نحو مسألة الهوية وصيغها الجماعية المتعددة، الا على نحو اجباري أو حتمي، باحتسابها (اي الهوية)، الممر الفكري الذي شق هذا الاتجاه الفكري طريقه عبره نحو محاولة حل الاشكالية الرئيسة التي حكمته .

٢- ويتضح ان مرجعية التفكير لدى الاصلاحية الاسلامية الحديثة، تكمن في الثنائية الحضارية: مرجعية اسلامية تتوحد او تتآلف مع مرجعية غربية، عبر شرط تاريخي «تنبيه اوربي» على حد تعبير(محمد رشيد رضا)، والنتيجة هوية بطابع بنائي ديناميكي متواكب مع المستجدات، يروم اعادة بناء الاسلام على نحو يستطيع فيه الاخير تلبية متطلبات الحداثة دون ان ينال ذلك شيئاً من جوهره .

٣- ولم يمنع تشبث هذا الاتجاه الفكري الاصيل بصيغة الهوية الاسلامية من تقبله صيغ هويات جماعية اخرى وان كانت من مرجعية مغايرة، من غير ان يثلم ذلك شيئا من هويته الاصلية .

٤- وكأن هذا الاتجاه الفكري الاسلامي مع هذه التوليفة من المرجعيات المختلفة كان قد ميز بين عناصر هويته القابلة للحركة والبناء وبين العناصر الهوياتية الثابتة فأفتى بالتمسك بالاخيرة، واقتنع مضطراً بتغيير ماهو طيّع على التحول من الاولى، ظناً منه ان ذلك يجنبه خطر تلاشي هويته بفعل عوامل التعرية التي فرضها الشرط التاريخي. ويبدو

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

ان هذا المفهوم البنائي المتحرك للهوية هومن حكم موقفه من الهوية الاسلامية والهوية العربية والهوية الوطنية.

لم يمتد هذا الخط الفكري الاسلامي المجدد الذي برز منذ القرن التاسع عشر سوى بضعة سنين من القرن العشرين حيث انهارت التسوية والتوفيقية بين الاصالة والمعاصرة بعد وفاة(عبده) وانقسام تلاميذه بين تيار اصولي قرأ الافكار الاصولية لـ(عبده) واخر علماني قرأ الافكار المنفتحة لهذا المفكر، وكانت كفة الاصولي هي الراجحة منذ ثلاثينيات القرن المذكور، ونضجت في خمسينياته وستيناته،الى ان شهدت الثمانينات والتسعينيات وصولا الى القرن الحالي القرن الحادي والعشرين، عودة لشيء من التروي والتوفيقية (في الحقيقة لم تطال توفيقية الاصلاحية الاسلامية الحديثة) طالت قضايا الهوية الاسلامية وبدأ الحديث عن تأسيس اسلامي في نطاق الخصوصية الاسلامية لبعض المسائل كحقوق الانسان والديمقراطية والانتخابات وغيرها. ومن هنا تبرز الحاجة الى خط فكري اسلامي محايث للاصلاحية الحديثة حيث لا القبول المطلق ولا الرفض المطلق للعناصر القيمية من مرجعية الاخر بل الاخذ من الاخر من غير تجاوز لثوابت الهوية الاسلامية الاصيلة ومن غير ذوبان الاخيرة في أتون الهويات المتقابلة.

قائـمة المصادر

١- احمد الشرباصي، «تصدير،» في: شكيب ارسلان، تاريخ غزوات العرب (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣).

٢- اديب نصور، «مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام،» في : الفكر العربي في مائة عام، بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد في تشرين الثاني ١٩٦٦م في الجامعة الامريكية (بيروت: الجامعة الامريكية، ١٩٦٧).

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

٣- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩م، ترجمة: كريم عزقول (بيروت: دار النهار، د.ت).

٤- توفيق الطويل، الفكر الديني الاسلامي في العالم العربي ابان المائة عام الاخيرة (بيروت: مطابع الدار الشرقية، ١٩٦٧ م).

٥- ثابت المدلجي، الرجل الاعصار: جمال الدين الافغاني(بيروت: دار المعجم العربي،١٩٥٨).

٦- جمال الدين الافغاني، الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط٢(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ج١.

٧- جهاد تقي الحسني، الفكر السياسي العربي الاسلامي، ط١ (بغداد: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩٣).

٨- ذوقان قرقوط ، الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥-١٩٣٦ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ١٩٧٢) .

٩- رفاعة رافع الطهطاوي، الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٣)،ج.

١٠- السيد يسين، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤).

١١- عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي (بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٦٩).

١٢- عبد الاله بلقزيز، الدولة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، ط٤(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٥).

١٣- عبد الاله بلقزيز،»مقدمات لتحليل الخطاب السياسي العربي: الخطاب النهضوي والاطر المرجعية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٣، السنة ١٢، مركز دراسات الوحدة

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

العربية، بيروت، آيار، ١٩٨٩.

١٤- عبد الرحمن الكواكبي، الاعمال الكاملة، تحرير: محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥).

١٥- عبد الرحمن الكواكبي، ام القرى: مؤتمر النهضة الاسلامية الاول، دراسة وتحقيق: محمد جمال طحان، ط٦(د.م: د.ن،٢٠١٤).

١٦- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء، ط١(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٧)، ص ص ٢٦٠- ٢٦١.

١٧- غسان سلامة، «الجامعة والتكتلات العربية،» ورقة قدمت الى ندوة الجامعة العربية الواقع و الطموح (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢).

١٨- ف.د. فرنو، يقظة العالم الاسلامي، تعريب: بهيج شعبان (بيروت: دار الحكمة، د.ت).

١٩- قيس ماضي فرو، ثقافة (النهضة العربية) وخطابات الهويات الجماعية في مصر وبلاد الشام،ط١، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٧).

٢٠- محمد جابر الانصاري، تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي ١٩٣٠- ١٩٧٠، سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٥ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠).

٢١- محمد عبده، الاعمال الكاملة، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، ط١(بيروت: دار الشروق، ١٩٩٣).

٢٢- محمد عمارة، « الجامعة العربية و الجامعة الاسلامية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٤، السنة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط ١٩٨١.

٢٣- محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ط٣، (القاهرة:

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3

دار الشروق، ٢٠٠٧)،

٢٤- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ط٢(القاهرة: مكتبة الآداب، ١٣٨٢هـ)، ج١.

٢٥- محمود فهمي حجازي، اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤).

٢٦- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ محمد عبده، ط١(القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٣١).

٢٧- هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٩٧٥- ١٩١٤(بيروت: دار النهار، ١٩٧١).

٢٨- وجيه كوثراني، «التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصاً وتطبيقاً ومفهوماً،» مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد٣، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، آذار- مارس،٢٠١٣.

٢٩- عبد العزيز الدوري، «الامة العربية: التكوين والهوية ،» مجلة شؤون عربية، العدد ٤٣، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، ايلول ١٩٨٥.

٣٠- وميض جمال عمر نظمي، «ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية،» مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٢، السنة ٦، مركز دراسات الوحدة العبية، بيروت، حزيران، ١٩٨٣.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.3